إيران وأمريكا والحكومات العربية

لا يكون الموقف الإسلاميّ في أية قضية صادقاً إلاّ بمقدار ما يكون أصيلاً ، ولا يكون مخلصاً إلاّ إذا كان في نفس الوقت واعياً بصيراً ، ولا يكون مؤثّراً ومحرّكاً إلاّ بمقدار ما يكون مستمراً مقترناً بالعمل الدائب والجهاد والصبر

والموقف الصادق البصير في ثورتنا الإسلاميّة في إيران يقتضي بطبيعة الحال أن نحكم على مواقفها -كما نحكم على مواقفنا في أيّ مجال- من خلال الإسلام .. لا أن نحكم على الإسلام ومستقبل الإسلام من خلال المواقف والأحداث .. وبقوة الإسلام يستطيع المسلم المخلص أن يقول هذه ثورة إسلامية بمنطلقها ، وبأبنائها وقادتها ، وبمسيرتها وأهدافها .. كما يستطيع المسلم أن يقول هذا تصرّفٌ من الثورة الإسلاميّة يطابق ما يريده الإسلام .. أو لا يتفق كلّ الاتفاق .. أو أنه يخالف ما يريده الإسلام .. وإنّما يقول المسلم المخلص هذا وذاك على السواء حرصاً منه على الثورة الإسلاميّة في إيران ، التي يرى في نجاحها نجاحاً للإسلام والمسلمين وفي فشلها -لا سمح الله- نكسة خطيرة نرجو الله ألاّ يصاب بها الإسلام والمسلمون

والثورة الإسلاميّة في إيران في أمسّ الحاجة إلى مثل هذا الموقف الأصيل المخلص وهي في مرحلة البناء .. فبعد سكوت الأموات عن جهاد أبنائها طوال السنوات الماضية أصبحت تتلقى عبارات التأييد والولاء من كلّ حدب وصوب ، تنطلق من مختلف الألسنة .. باسم الإسلام ، فهذا لسانٌ رسمي في منصب من المناصب يؤيّد بعد جُعِلَ الإسلام في بلادنا مناصب رسمية ، وهذا لسان مرتبط بأصحاب السلطة والمناصب وأتباعهم يوالي بعد أن أصبح الإسلام في بلادنا موضع استغلال أصحاب السلطة والمناصب وأتباعهم والمرتبطين بهم ، وهذا لسانٌ ممالئٌ يركب الموجة .. ولا يكاد يتمنّى شيئاً قدر تمنّيه أن تنحسر الموجة ..

وقد يكون من المؤيّدين أيضاً المخلص الذي بهره انتصار الثورة الأوّل فبات يرى الإسلام من خلالها ، ولا يذكر أنّ سرّ انتصارها الحقيقي هو إسلامها .. أمّا ثورتنا الإسلاميّة في إيران فإنّ طريقها إلى مزيد من الانتصارات في المستقبل لا تضاء إلاّ بمشاعل الإخلاص البصير .. مع الجهاد الدائب الطويل ، وإخوتنا فيها قادرون بإذن الله على التمييز بين تأييد وتأييد .. وبين نقد وتشهير

وشتّان شتّان بين من يقول إنّني أؤيّد الثورة وهو يرى مصلحته الآنيّة في تأييدها ، وبين من يقول إنّني أؤيّد الثورة وهو يدرك أنّ إسلامه يفرض عليه تأييدها

وشتّان شتّان بين من يقول إنّني أنتقد هذا التصرّف من الثورة وهو يرجو الشيطان أن يعينه على تقويض منجزاتها،

وبين من يقول إنّني أنتقد هذا التصرّف من الثورة وهو يرجو الله عزَّ وجلَّ أن يعين الثورة على تحقيــق مزيــد مــن المنجزات والانتصارات وتجنّب الأخطاء والهفوات

* * *

والثورة الإسلاميّة في إيران اليوم في معركة خطيرة لا تخفى أبعادها على أحد من ذوي العيون الحاقدة أو العيــون المشفِقَةِ على السواء

معركتها اليوم مع أمريكا التي يخشاها من لا يخشى الله عزَّ وجلّ .. ومع أعوان أمريكا وأتباعها الذين لا يخــشون الله في مواقفهم .. من قبل قيام ثورة إيران الإسلاميّة ومن بعد

وإنّ مطامع أمريكا في بلادنا الإسلاميّة هي أصل القضية .. وأصل العداء ، وما كانت أمريكا في حاجة إلى قضية رهائن لتمارس عدوانها المكشوف والمستتر ، القديم والجديد .. في مختلف أنحاء بلادنا الإسلاميّة مــا بــين الفيلــبين وفلسطين والصحراء الغربية

ولئن سبق وأعلنت (الرائد) اعتقادها بأن حجز الرهائن لا يمثّل الأسلوب الإسلاميّ لإسقاط هيبة أمريكا في نفوس من يرهب قوتها في العالم .. حتى وإن حقق هذا الهدفَ إذ هو يعود بالخسارة في مجالات أخرى على الثورة الإسلاميّة الناهضة ، إلاّ أنّنا ندرك كلّ الإدراك أن قضية الرهائن لم تكن هي منبع العداء الأمريكي السافر للثورة بــل كانــت الورقة التي لعبت بها أمريكا مستغلّة ملابساتها ومستخدمة النفوذ الغربيّ في كلّ مكان لاستنفار الأصــدقاء والأتبــاع للتشهير بالثورة ومحاولة عزلها عن العالم الإسلاميّ من حولها .. وعن العالم عامة

لقد بدأت إيران الثورة تعامل المعسكرين الغربيّ والشرقيّ من منطلق آخر غير المنطلق الذي اعتادا التعامــل مــن خلاله صراعاً على النفوذ .. أو اتفاقاً على اقتسام مناطق النفوذ ، وترسيخاً للتبعيات واستغلالاً للطاقات والثروات .. فكان لا بدّ من عدائها من قبل الغرب والشرق على السواء

وكانت المطالبة بتسليم الشاه رمزاً للمطالبة بتغيير موازين التبعية في العالم الإسلاميّ ، فمحاكمــة الــشاه علــى جرائمه في إيران اليوم تعني إمكانية محاكمة كلّ حاكم ينهج نهجه في أيّ بلد آخر في يوم من الأيام .. وكان رفــض أمريكا تسليم الشاه ليقينها أنّ تسليمه يعني ضياع ثقة الحكام الأتباع بها .. وليس حبّاً به وقد ضاعت قيمته و لم يعــد له وجود .. بل تدرك أمريكا أنّ أولئك الحكام الأتباع من بعده قد فقدوا ثقتهم بقدرة أمريكا على حمايتــهم مــن السقوط إذا ثارت الشعوب عليهم ثورة شعب إيران على الشاه .. وأصبحت تخشى أن يفقدوا الثقة بقــدرتها علــى حمايتهم (بعد السقوط أيضا) من نوال الجزاء الذي يستحقونه في هذه الحياة الدنيا

أمّا أمريكا نفسها فليس ما تخشاه على نفوذها هو سقوط أولئك الحكام .. بل سقوط نفوذها بسقوطهم .. ومـــا كان يردعها عن خطوة عسكرية رهيبة تجاه إيران مهما كانت نتائجها بالنسبة إلى الرهائن أنفسهم ما قـــد يتخـــذه أولئك الحكام من مواقف بل كان يردعها مواقف الشعوب الإسلاميّة المتجاوبة مع إسلام الثورة في إيران

بل إنّ أمريكا عاجزة كلّ العجز عن اتخاذ أيّة خطوة عسكرية تجاه أيّ بلد إسلامي إلاّ بالاعتماد على دعم حكام بلدان إسلامية أخرى لها .. ولا يدلّ على ذلك شيءٌ من الواقع العمليّ نفسه قدر ما تدلّ عليه المحاولة الفاشلة لتحرير الرهائن بالقوة .. إذ تنطلق الطائرات من أرض إسلامية بتسهيل الحكام ، وتعبّئ الوقود في أرض إسلامية أخرى وتعبر سماء أرض إسلامية ثالثة وتخرج بعد العملية الفاشلة إلى أرض رابعة .. وكلّ ذلك برضى الحكام العلني أو الـــضمني ، وبسكوتهم الواقعي أو معارضتهم الشكلية

ولقد كانت الحكومات في معظم البلدان العربية في أعقاب وصول الثورة إلى السلطة أخشى ما تكون على نفسها من امتداد نار الثورة إلى الهشيم القائم تحت أقدامها ، فتجاوب الشعوب المسلمة مع الثورة لا يقهره طغيـــان .. ولا يحول دونه حاجز ، فكانت تلك الحكومات أقرب إلى العداء المستتر للثورة منها إلى العداء المكشوف ..

ولا يخفى على تلك الحكومات معنى امتداد الغضبة على أمريكا ونفوذ أمريكا في أعقاب حادثة المسجد الحرام من قلب حيدر أباد إلى قلب طرابلس الغرب .. ولكنّها بدل التحرّك في طريق الاستجابة لما تريد الشعوب تحرّكـــت في طريق الاستجابة لما تريد أمريكا ، فكانت القواعد الجديدة والتسهيلات العسكرية الإضـــافية ، وكانـــت المـــشاركة الظاهرة والخفية في حملات التشهير الإعلامية بالثورة وأبنائها وقادتها وأهدافها ونتائجها واحتمالاتها .. وكـــان مـــن الثورة الناهضة أيضاً من المواقف ما ساهم عن غير قصد في تسهيل مهمة التشهير والعـــداء .. حـــتى كانـــت أولى الخطوات العسكرية الأمريكية ضدّ إيران أشبه بجسّ نبض لمدى ما حققته المرحلة الماضية من غاياتها للفصل بين إيـــران الثورة والشعوب المسلمة

* * *

ويبرّر الكثير من حكام البلدان الإسلاميّة ، ولا سيّما البلدان العربية مواقفهم من الثورة بهذا التصرّف أو ذاك مـــن جانب الثورة نفسها .. متحدّثين عن ذلك علناً بألسنة إعلامهم الموجّه على الدوام .. وبألسنتهم في بعض الأحيان

ولكن .. هل كان عداؤهم للثورة الإسلاميّة في إيران نتيجة تلك التصرّفات أم كان عداء أصيلاً من قبل أن تصل الثورة إلى الحكم ومن بعد ؟ ..

هل كانت مواقفهم على اختلافها نتيجة لمواقف قادة الثورة أم كانت نابعة من موقفهم هم من الإســـلام نفـــسه عداء أو استغلالاً ، محاربة علنية أو خفية ؟ ..

أليس فيهم من كان يمدّ يد التعاون والتفاهم مع شاه إيران قبل سقوطه ، رغم الخلاف ورغم التنافس ، وهو منذ قامت الثورة يرفض أن يمدّ لها يداً للتعاون أو التفاهم على أيّ مستوى من المستويات ؟ ..

أليس فيهم من كان يرى الملايين تبذل دماءها ثائرة على حكم الطاغوت ، وهو يعلن التأييد للطاغوت والأمل في أن ينتصر الطاغوت على الشعب الثائر ؟ ..

أليس فيهم من استقبل الشاه المخلوع متحدّياً المسلمين ومشاعر المسلمين وأهداف المسلمين في كلّ مكان فـــوق تحدّيه لتضحيات المسلمين في إيران ؟ ..

أليس فيهم من سارع إلى رفع إنتاج النفط على حساب كلّ مصلحة سياسية واقتصادية لمجرّد اعتماد إيران الثورة في معركتها مع النفوذ الغربي الرهيب على حاجته إلى النفط في بلادنا الإسلاميّة اعتماداً رئيسياً إلى جانب اعتمادهـــا على ثقة أبنائها بالله ونصر الله ؟ ..

إنّ عداء هذه الأنظمة للثورة الإسلاميّة في إيران عداءٌ أصيل كعداء أمريكا للثورة .. نابع من العداء الراســـخ أو الاستغلال الرهيب للإسلام نفسه .. وليس ناتجاً عن خطأ أو أخطاء تقع فيها الثورة وهـــي في مهـــدها ، ويمكـــن إصلاحها .. ولا تبرّر عداءها

وعداء الإسلام أو استغلال الإسلام .. راسخ رسوخ التبعية لأمريكا ، راسخ رسوخ الخوف من ثورة الـــشعوب على تلك التبعية ومن أجل الإسلام .. وراسخ كرسوخ الإسلام في قلوب تلك الشعوب المسلمة المضطَّهدة على أيدي الحكام

* * *

ومنذ قامت الثورة الإسلاميّة في إيران والحملات الإعلامية والرسمية ضدّها تلعب بورقة الادّعاء أنّها تفتح الأبواب أمام التوسّع السوفييتي الشيوعي ..

ومنذ قامت الثورة الإسلاميّة في إيران وهي تؤكّد على استقلالها عن التبعية للمعسكرين وقيامها علـــى أســـاس الإسلام ومن منطلق الإسلام ..

ولو صدقت المخاوف من النفوذ السوفييتي الرهيب .. ولم يكن الأصل هو المخاوف مـــن الامتـــداد الإســـلاميّ الأصيل .. لكان أولئك في مقدّمة من يدعمون الثورة في مراحلها الأولى وبعد انتصارها الأولى لمنع استغلال الشيوعية المحلية والدولية عنها ..

ولكنّهم يسلكون نفس الطريق التي تسلكها أمريكا ، ويدركون أن ازدياد حمأة الجهود المبذولة لحـــصار إيـــران الثورة سياسياً واقتصادياً هو الذي يمكّن من فتح الأبواب أمام الشيوعية المحلية والدولية لمضاعفة جهودها ضدّ الثورة ، ومن أجل قطف ثمار انتصاراتها ..

إنّ الذين يساهمون في ضرب الثورة الإسلاميّة من الخارج بتقديم المزيد من التسهيلات العسكرية وغير العـــسكرية لأمريكا ..

والذين يساهمون في محاولات ضرب الثورة الإسلاميّة من الداخل بدعم كلّ دعوة مناهضة لإسلام الثورة وشمول الثورة ..

والذين يساهمون في محاولات حصار الثورة اقتصادياً بوضع سلاح النفط الخام في أيدي أمريكا وحلفائها بدلاً من استخدامه في مصلحة المنطقة وشعوبها ..

والذين يساهمون في تشويه وجه الثورة الإسلاميّ بطلاء المذهبية أو الطائفية أو العنصرية أو القومية .. الذي يصبغ وجوههم هم ..

هؤلاء جميعاً هم الذين يساهمون في إغلاق الأبواب أمام الثورة الإسلاميّة ويدفعونها دفعاً في طريق التخلّـــي عـــن استقلاليتها الإسلاميّة للسقوط في إغراءات الشيوعية الدولية .. بالدعم في وقت الحاجة ، أو الـــسقوط في مـــؤامرات الشيوعية المتحركة في الظلام

وليس هؤلاء بالجاهلين لهذه الحقيقة ، ولكنّهم في غالبيتهم الكبرى على استعداد للقبول بسيطرة الشيوعية -لـــو استطاعت- على إيران للتفاهم معها بالتعايش المصلحي كما يفعلون معها في غير إيران ، أو للدخول في صراع معها لحساب المعسكر الغربي وهم يدركون أنّ قدرتهم على مواجهة الشيوعية أقرب إلى تحقيق غاياتهم الذاتية من القـــدرة على مواجهة الإسلام الثائر ..

وإنّهم بذلك ليخونون أمانة الإسلام ومصلحة قضايا الإسلام والمسلمين أكـــبر خيانـــة .. بخدمتـــهم للمطـــامع الأمريكية ، وتسهيلهم السبل أمام المطامع السوفييتية ثم من قبل ومن بعد بتخليّهم الرهيب عن الإسلام ، بل وحربهم المعلنة والخفية على الإسلام ..

* * *

وإنّنا لنقف مع إخوتنا في الثورة الإسلاميّة في إيران في جبهة واحدة في هذه الحرب المتعدّدة الجبهات ، المتعـــدّدة المجالات والأشكال ..

وإنّنا لندعو إخوتنا في الثورة الإسلاميّة في إيران إلى مزيد من اليقظة والحذر ، ومزيد من البذل والجهاد ، ومزيـــد من الحرص على وجه الثورة الإسلامي على كلّ صعيد سياسي واقتصادي ، داخلي وخارجي ..

إنّ رصيد الثورة في قلوب المسلمين في كلّ مكان رصيد كبير .. يزداد بازدياد تمسّكها بخطّها المستقلّ عن الشرق والغرب ، وبرفضها أن تمدّ يد التعاون مع أنظمة الطغيان التابعة للشرق أو الغرب على السواء ..

إنّ المواقف المتميّزة بالإسلام تجاه أنظمة حكم تابعة أو متعاونة مع الشرق الملحد ، وهي تمارس داخـــل البلـــدان الإسلاميّة ألوان الاضطهاد والطغيان -كما في سورية- لهي هي نفس المواقف المتميّزة بالإسلام تجاه أنظمة حكم تابعة أو متعاونة مع الغرب الصليبي والصهيوني وهي تمارس داخل البلدان الإسلاميّة ألوان الاضطهاد والطغيان -كمـــا في مصر- نطلبها من الثورة الإسلاميّة في إيران ، وندرك أنّها هي التي ترفع رصيدها في قلوب الشعوب المسلمة المنكوبة بالشرق والغرب وأتباع الشرق والغرب في كلّ مكان ..

وهذا الرصيد .. مع عون الله وتأييده .. هو المصدر الحقيقي لقوة الثورة ، والضمان الحقيقي لمزيد من الانتصارات التي ننتظرها من الثورة

وإنّ اضطرار تلك الأنظمة الطاغية إلى ستر عدائها للثورة أو إلى ممالأة الثورة حسب الظروف والأوضاع ، إنّمـــا ينبع من خشيتها لذلك الرصيد الكبير عند الشعوب المتجاوبة مع الثورة المنكوبة بتلك الأنظمة ..

وإنّنا واثقون .. من انتصار تلك الشعوب على أعدائها ، ومن انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران على أعدائها .. ما دامت تتمسّك بالمنهج الإسلاميّ الذي وضعته لنفسها فتعمل على توجيه الجهود الأكبر لمزيد من التماسك على الجبهة الداخلية ، وتجنيد سائر الطاقات الذاتية في معركة البناء الاقتصادية والاجتماعية والسياسية على أســـاس الإســـلام ، ومواجهة كلّ محاولة داخلية لقيام نفوذ يساري مستتر أو علني مع الجهود المبذولة للقضاء على بقايا النفوذ الغـــربي ، وعلى إبراز وجه الإسلام في المعاملات السياسية الخارجية للشرق والغرب ، والأعداء والأصدقاء ، انطلاقاً من الأسس التي ثبّتها الإسلام في منهجه السياسي الأخلاقي ، وعلى تجنّب كلّ موقف أو تصريح يمكن استغلاله في غير مـــصلحة الثورة الإسلامية وفي غير مصلحة تجاوب الشعوب المسلمة معها .. وعلى الانطلاق من منطلق الإسلام وحده وأخوّة الإسلام والإيمان في تأييد قضايا الإسلام والمسلمين في كلّ مكان ..

﴿ ... **وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾ [الحج : 40]